مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- المركز الجامعي بغليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 06/ العدد: 03 (2020) - ص 405- 416

الحجاج المغالط في النقد المغاربي المعاصر: محمد العمري أنموذجا

The fallacies in the contemporary Maghrebian criticism : Mohamed Al-Omari model

غالم عبد الصمد
abdessamed.ghalem@univ-sba.dz
مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية
جامعة الجيلالي ليابس - سيدي بلعباس / الجزائر

تاريخ الاستلام: 2019/09/03 تاريخ القبول: 2019/10/19 تاريخ النشر: 2020/06/01

ملخص البحث

تعتبر النظرية الحجاجية من أهم النظريات التي اهتمت بفهم الخطاب وتفسيره ؛ واعتمدت في ذلك على مجموعة من المفاهيم والتقنيات التي ينبني عليها فعل الإقناع والتأثير في المتلقي .

تحاول هذه الدراسة توضيح مدى حضور مفهوم الحجاج المغالط في النقد المغاربي المعاصر واخترنا لذلك الأعمال النقدية البلاغية لمحمد العمري أنموذجا لاقتناعنا أنّ هذا الباحث المعاصر ساهم في فضح المغالطات التي يلجأ إليها بعض المتلفظين بالخطاب .

كلمات مفتاحية: الحجاج .المغالطة .الخطاب .بلاغة.

ABSTRACT:

Theory of argumentation is one of the most important theories that have been concerned with the understanding and interpretation of the discourse .

This study attempts to clarify the extent of the présence of the fallacies in the contemporary Maghrebian criticism , and we chose the rhétorical criticism of Mohamed Al-Omari as a model for our conviction that this contemporary researcher attempts to expose the sophistry of some speakers .

keywords; argumentation , fallacies , discourses ,rhetoric

مقدمة

عرف النقد المغاربي المعاصر اهتماما واضحا ببلاغة الحجاج ،حيث اتجه عديد من البلاغيين المغاربة لاستثمار مفاهيم البلاغة الجديدة في تحليل مختلف الخطابات ذات البعد الإقناعي ،و لم يرتكز ذلك الاهتمام على الإرث البلاغي الأرسطي فقط ،بل امتدّ ليشمل كل ما أنجز حول الخطاب الحجاجي في عصرنا الراهن .

كان الحجاج المغالط من بين الموضوعات التي شغلت البلاغيون المعاصرون في ساحتنا النقدية المغاربية ،و يعتبر الباحث المغربي " محمد العمري " من أهم هؤلاء الدارسين الذين تصدوا للخطاب المغالط القائم على التطويع التحكمي المضلل ،و استعان في ذلك بمجموعة من الآليات والأدوات البلاغية التي تعين على كشف تهافت الاستدلال الذي يستخف بالمتلقي .

1-تعريف المغالطة

يقابل المغالطة في اللغة الإنجليزية مصطلح " Fallacy" وفي الفرنسية مصطلح " Paralogisme" وهي من اليونانية " Paralogismos " " وهي " تتكون من جزأين para وتعني faux – à coté (مجانب – خاطىء) و logismos وتعني calcul –raisonnement فهي إذن تعني حجاجا خاطئا "[1]

فالمغالطة إذن نوع من الحجاج يحاول فيه المحاجج إخفاء مقاصده الحقيقة ويسعى للإيقاع العمدي بالمتلقي حتى يقبل دعواه المعروضة ،فهو إذن يستند إلى استدلال " يبدو كأنه صحيح لأنه مقنع سيكولوجيا لا منطقيا "[2]

و بناء على ذلك فالحجاج المغالط يتسم بكونه قائما على الحيلة والاستدراج ،فضلا على تميزه بالخصائص التالية :[3]

-يعمد إلى الغلط المقصود .

-يختفي وراء الغموض اللغوي أو الإثارة العاطفية بحيث لا تتبين حقيقته إلا بالفحص الدقيق

-يخرق كل أشكال التواصل والحوار،كما يخرق قواعد الحوار التفاعلي .

و تجدر الإشارة إلى ارتباط المغالطة في الفكر الغربي القديم بالحركة السفسطائية التي جعلت من هذه السيرورة الخطابية مطيّة لاستدراج السامعين ،و رغم قدم هذا المبحث الحجاجي إلّا أنّه لا يزال البحث البلاغي المعاصر يهتمّ بالمغالطات لأنّ انتشارها في بعض الخطابات الراهنة " حقيق بأن يردّ إلى نظرية المغالطات أهميتها الأولى ويعيدها إلى الصّدارة من جديد "[4] فمتلقي الخطاب المغالط يحتاج إلى كشف المغالطة وتحديد نوعها حتى يستطيع مواجهة من تصدر منه .

إنّ انتشار استعمال الحجاج المغالط في بعض الخطابات ،يدفع البلاغي المعاصر إلى عدم الاكتفاء بالتنظير فقط ،بل يحتم عليه الانتقال إلى مستوى تحليل النصّوص من خلال وضع المنجز البلاغيّ النظريّ حيز الممارسة ،فعلاقة البلاغة بالمغالطات كعلاقة المؤسسات الصحيّة بالمرض " وزارة الصحة توازي علم البلاغة . كل منهما ينشد الحالة الطبيعيّة ،يهتمان ،مبدئيا وظاهريا ،بقواعد الصحة ومتطلباتها ،و لكنهما يهتمان في الواقع بالوقاية من الأمراض عن طريق ملاحظة الأعراض ،ثم يتصيدان للمرض بعد وقوعه " [5]

سعت البلاغة الجديدة لتخليص الحجاج من الممارسات التضليليّة ،فأمام عبث الخطاب المغالط واستخفافه بالسامعين ،تكفلت البلاغة بما تملكه من تقنيات لفضح هذا النوع من الإقناع القسري

منطلقة من أنّ الحجاج شكل من أشكال الحوار المنتج ،و ليس نوعا من المراوغة القولية التي تمارس الإقناع .

إنّ هدف الخطاب المغالط هو الإيقاع بالمتلقي باستخدام سبل تمويهيّة قائمة على " مقدمات مدسوسة بأمور توهم بأنها حقيقة دون أن تكون كذلك ،أو توهم أنها مشهورة دون أن تكون كذلك . ويتوخى عبرها المغالط هزم خصمه ،سائلا كان أم مجيبا ؛بأن يجعله عاجزا عن تحديد مكمن الصدق أو الكذب" [6] فالغاية إذن هي إقناع الخصم بأي وسيلة كانت .

و تجدر الإشارة أنّ الحجاج ليس مغالطا في حد ذاته ،و لكن استخدامه بطرق غير مشروعة هو الذي ينتهي به إلى التغليط ،و لذلك لا يمكن للمغالطة أن تفهم على نحو سليم إلاّ من خلال متابعة خرقها لقواعد الاستدلال الصحيح ومبادئ الحوار الهادف ،و انطلاقا من هذا التصور ميّز البلاغي المغربي " محمد العمري " بين نوعين من التهافت الحجاجي " تهافت الغلط لضعف الحس النقدي ،و تهافت مع نية التضليل ندعو الأول غلطا والثاني مغالطة "[7]

2-الحجاج المغالط في المنجز اليوناني

ارتبطت المغالطة في الفكر اليونانيّ بالتيار السفسطائيّ الذي كان أنصاره " يفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء ،و بإيراد الحجج الخلابة في مختلف المسائل والمواقف ومن كانت هذه غايته فهو لا يبحث عن الحقيقة ،بل عن وسائل الإقناع والتأثير الخطابي " [8] ويعني هذا أن هذا التيار الفكري أعطى مشروعية لاستعمال الحيل الخطابيّة ،و بهذا التصور صارت السفسطة في بعض ممارساتها الخطابيّة استدراجا للسامع " وعنوانا لكل أشكال التفكير المعوج والمخادع ،و ستصبح صورة السفسطائيّ تركيبا بين كل الأوصاف القدحية ،فهو ذلك الدجال المخادع الذي يلوك الكلام ويتحايل بلسانه ليمرر على المخاطبين فكرة الباطل واستدلالاته الخاطئة "[9]

في ظل انتشار هذه الحركة الفكرية في اليونان القديمة خلال القرن الخامس قبل الميلاد ظهر مجموعة من الفلاسفة الدين تولّوا مهمة التصدي للألاعيب القوليّة التي اعتمد عليها السفسطائيون ،ويعتبر أفلاطون من الذين تصدوا بشكل حاسم لهذا النوع من الحجاج ،فمعه " بدأ الانفصال بين الخطابة والسفسطة ،لتستقل هذه الأخيرة بذاتها حاملة معها كل النعوت القدحية ،بل وأصبحت كل ممارسة فكرية أو كلامية لا تتقيد بضوابط المعقولية والواقعية توصف بكونها سفسطة "" [10]

و سار أرسطو على المنوال نفسه في مواجهة السفسطة باعتبارها ظاهرة خطابيّة ،و كان هدفه من وراء ذلك كشف الحيل التي يلجأ إليها السوفسطائيّين . وفي الحق " لولا السفسطائية وما اعتمدته من مغالطات حجاجية لما أنشأ أرسطو المنطق الصوري ... منطق استدلالي بامتياز أكثر منه منطق مشاعر"[11]

سعى أرسطو في تأسيسه لبلاغة الحجاج إلى تخليص عملية الإقناع من الحجاج المغالطيّ ولتحقيق هذه الغاية النبيلة حاول جاهدا حصر كل أشكال التبكيتات السفسطائية ،فعدّد من جهة الألفاظ ستة أصناف ،تتمثل في [12] :

أ-اشتراك اللفظ المفرد : وذلك أنّ اللفظ الواحد قد يدل على أكثر من معنى، فيعمد السفسطائي لاستغلال ذلك في تضليل المتلقي .

ب-اشتراك اللفظ المؤلف : وهو بدوره يتفرع إلى أوجه عدة منه : ما كان من قبل التقديم والتأخير ، ومنه ما كان راجعا إلى احتمال الضمير أكثر من معنى ومنه ما كان راجعا إلى التباس الإضافة .

ج-إفراد القول المركب: ويتعلق الأمر بارتباط المعنى بإفراد القول أو إسناده .

د-القسمة : كأن يعمد المسفسط إلى استلزام صدق المركب بناء على صدق أفراده .

هـ- الإعجام ،و يتعلق بخصائص مميزة للغة سواء في النطق أو الكتابة كالأداء الصوتي أو إهمال الإعراب وتبديل اللفظ وإعجامه .

و-شكل الألفاظ : وفيه يتم التلاعب بصيغ اللفظ كأن تكون مثلا صيغة لفظ الفاعل صيغة لفظ المفعول .

و أما التبكيت السفسطائي من جهة المعاني فيكون خرقا لشروط التبكيت الصحيح وهي ثلاثة :[13]

أ-صحة الشكل

ب-صحة المقدمات

ج-أن تكون النتيجة نقيضا بالفعل لما تم التسليم به من الخصم .

و على هذا الأساس قد يكون التبكيت السفسطائيّ خروجا عن الشكل الصحيح للقياس كالمصادرة على المطلوب وقد يكون احتيالا على المقدمات كالتعامل مع المقيد كما لو كان مطلقا وقد يرد في شكل استخلاص نتيجة تكون نقيضا بالفعل لما تم التسليم به كالتعامل مع مسألتين أو أكثر كالتعامل مع مسألة واحدة .

إننا نتحدث عن استراتيجية خطابية تعتمد المناورة والإيهام وتستعمل استدلالا يبدو سليما ظاهريا ولكنه في العمق قائم على خلل في البناء المنطقي . ويمكن القول إنّ أرسطو تفطن مبكرا لهذه الألاعيب القولية والحيل الخطابية التي قد يستعملها المتكلم للتأثير في المتلقي ،و الملاحظ أنّ الدراسات الحجاجية المعاصرة ما زالت تهتم بتصنيف أرسطو لهذه المغالطات في تحليلها لمختلف الخطابات التضليلية .

3-الحجاج المغالط في الفكر الغربي الحديث والمعاصر

انفتح الدرس الحجاجي الحديث على السفسطة ،و يعدّ هذا التوجه " عنصر مكملا للدرس الحجاجيّ ،لا يتم هذا الدرس إلاّ به ،لأن البحث في السفسطة يمثل بعبارة كريستيان بلانتان الوجه السالب للحجاج مقابل الوجه الموجب الذي يدرس النشاط الحجاجيّ السليم "[14]

إن العودة إلى الفكر الغربيّ الحديث تظهر مساهمة مجموعة من الباحثين في كشف عوائق المسار الحجاجي ،و نذكر منهم فرنسيس بيكون (1561-1626) الذي يعدّ من أهم هؤلاء الدارسين الذين قسّموا الأوهام المغلطة إلى أربعة أصناف :[15]

أ-أوهام القبيلة Itribus : وهي مشتركة بين جميع الأفراد ،كالميل إلى التعميم مع تجاهل الحالات الخاصة .

ب-أوهام الكهف sbecus : وهي فردية سببها أن كل إنسان ينظر إلى العالم من كهفه الخاص ،فيحكم وفق هواه .

ج-أوهام السوق fori: وترتبط باللغة اليومية المشتركة التي تتحكم فيها الحاجات اليومية النفعية .

د- أوهام المسرح theatri : وهي الأخطاء المعرفية المتولدة من المعتقدات الفلسفية الموروثة ومن المبادئ المغلوطة .

و في أمريكا ارتبط دراسة الحجاج المغالط بالتفكير المنطقي الذي رسم الحدود بين مسلكين من الاستدلال " مسلك أوّل يكون فيه الاستدلال منتجا لأنه يصدر عن نية حسنة ،و ينأى من ثم عن المغالطة والخداع ،و مسلك ثان هم أصحاب الإيقاع بالآخر وحمله على الإذعان حتى إنّ اقتضى ذلك تضليله ومخادعته "[16] ويظهر القول أنّ قصد الإيقاع بالمتلقي هو ما يميز الاستراتيجية المغالطية عن غيرها من استراتيجيات الإقناع .

وإذا عرجنا إلى أهم الأعمال الحديثةالتي أنجزت حول الحجاج المغالط نجد المؤلفات التالية: كتاب هامبلين Hamblin الصادر سنة 1970 الموسوم ب : "Fallacies" ،و كتاب "السفسطات من منظور تداولي جدلي " لفان إيمرين Van Emeren وروب خروتندوست Rob Grootendost ؛ فضلا عن المؤلف المشترك بين وودز Woods ووالتون Walton الصادر سنة 1982 تحت عنوان " الحجج : منطق السفسطات"

و إجمالا ،يمكن القول إن الدراسات الحديثة والمعاصرة التي أنجزت حول الحجاج المغالط كانت تحاول كشف أساليب التضليل والخداع التي يمكن أن ترد في بعض الخطابات التمويهية الذي تسعى لمغالطة المتلقي ودفعه لقبول القضايا المطروحة عن طريق ايهامه بحجيتها .

4-المغالطة وتحليل الخطاب عند محمد العمري

اهتمّ "محمد العمري" بالمغالطة في الخطاب الاحتماليّ ،و أكّد أنّها مرتبطة بنية التوهيم والخديعة والإعنات الفج ،و لذلك اعتبرت مظهرا من مظاهر العنف الخطابي ،و أمام خطورة هذا النوع من الاستدلال التضليلي، اهتم " العمري " كغيره من نقاد الخطاب المغالط بكل هذه الإنزلاقات التي قد يلجأ إليها المتكلم.

و يمكن أن نرجع اهتمام "العمري" بنقد الخطاب المغالط لاقتناعه بأنّ " التنظير لبلاغة / خطابية عربية حديثة لن يكون مثمرا دون محاورة التاريخ ،من جهة ،و التطبيق على الواقع من جهة أخرى "[17]

حاول "محمد العمري" استثمار مفاهيم الحجاج المغالط في تحليل مختلف الخطابات التراثية والمعاصرة ،و من الأعمال التي نالت اهتمامه مدونة الخطابة العربية القديمة (القرن الأول هجري نموذجا،و مدونة "بخلاء" الجاحظ التي اعتمد فيها البخيل في الكثير من المواضع على التضليل والتمويه والحيلة لستر حرصه الشديد على المال والطعام .

كان الجاحظ في هذه المدونة " يعطي الكلمة للمسخور منه ولا يفتأ يحرك له رأسه بالموافقة ليستمر في بسط الحجج التي تكشف منطقه الخاص المستمد من هواه وذهوله عن الواقع بجلب الحجة من غير موضعها وتقديمها في غير مناسبتها . "[18]

سعى محمد العمريّ لكشف آليات المغالطة في تحليله لهذه الخطابات التراثية ؛فذكر منها :

-الاحتكام إلى حجة السلطة :

أكّد "محمد العمري" أن بخيل الجاحظ استعان بهذا النوع من المغالطة ليستر إفراطه في الشح وإقلاله المفرط في الأكل،و مثّل لذلك من مدونة البخلاء في قوله على لسان إحدى شخصياتها " لم زعم الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ الصوم وجاء إلاّ ليجعل الجوع حجازا دون الشهوات ؟ "[19]

إنّ هذا الخطاب المغالط يوظف الحجج النقلية لاستدراج المتلقي ،لذلك يعتبر هذا الخطاب " خطاب تذعين يتكئ على أحادية مسار توجيه المتكلم للنصّ المنقول فيما نسميه : (سياق الاستشهاد) الذي يمثل نموذجا من الانفراد القسري باحتكار حق التأويل والاستحواذ التام عليه " [20]

و يمكن القول : إن الاستعانة بسلطة النص المنقول في الخطاب المغالط يحمل نية تضليل المتلقي ويحدث ذلك حين يتم نقله إلى سياق خطابي جديد مغاير تماما للسياق الأصلي ،و في هذه الحالة تتجلى المغالطة من خلال :[21]

-الانتقاء وتوظيف النصّ لغاية مغايرة الخلط الاختلاف في المناسبة بين السياقين .

-الاجتزاء المخلّ بالمعنى من النصّ المضمن نفسه بترك بعض جمله.

-الخلط في استعمال الإشاريات لتحقيق إحالات اتهامية غير الصريحة .

-سياق الاستشهاد ونفعية التأويل الضمني وتوجيه الغاية .

-المراوغة بوضع الإلهي موضع البشري .

أكّد " محمد العمري " أنّ هذا النوع من المغالطة ورد في بعض النصّوص الخطابي التراثية كخطبة الحجاج التي وظّفت العنف اللفظي كآلية لدفع المتلقي لقبول الدعوة المعروضة: قال الحجاج " فإنكم كأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كلّ مكان ،فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون "[22] فواضح من هذا المقطع أنّ "الحجاج" اعتمد على تمثل تضليلي يوهم المتلقي بحجيته .

-القياس الفاسد

يعدّ محمد العمري أن الخطاب المغالط كثيرا ما يقوم على قياس خطابي فاسد ،و دعا محلل الخطاب لكشف هذا الاستدلال التمويهي ،و هذا ما قام به العمري في تحليله لمدونة الجاحظ حيث أكد أنّ القياس الذي كان يلجأ إليه البخيل لستر شحّه قياس فاسد،ومثّل لذلك بمجموعة من النماذج منها قصة أحمد بن خلف الذي قبل دعوة أصحابه بعد طول مناورةو مداورة " فاتخذّ لهم طعيما خفيفا شهيا مليحا ،لا ثمن له ،و لا مؤنة فيه . فلما أكلوا وغسلوا أيديهم أقبل عليهم فقال : أسألكم بالذي لا شيء أعظم منه ،أنا الآن أيسر وأغنى أو قبل أن تأكلوا طعامي ؟ قالوا : ما نشك أنك - حين كنت والطعام في ملكك - أغنى وأيسر . قال : فأنا الساعة أقرب إلى الفقر أم تلك الساعة ؟ قالوا : بل أنت الساعة أقرب إلى الفقر . فقال : فمن يلومني على دعوة قوم قرّبوني من الفقر وباعدوني من الغنى ،و كلّما دعوتهم أكثر كنت من الفقر أقرب ومن الغنى أبعد ؟! "[23]

ويمكن أيضا التمثيل لهذا القياس الخطابي الفاسد بما كشفه محمد العمري في تحليله لخطبة الحجاج بعد قتله ابن الزبير في الحرم والتي ورد فيها : " ألا إنّ ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها وخلع طاعة الله واستكنّ بحرم الله . ولو كان شيئا مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة ،لأن الله تعالى خلقه بيديه وأسجد له ملائكته ،و أباحه جنته ،فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته . وآدم على الله أكرم من ابن الزبير ،و الجنة أعظم حرمة من الكعبة " [24]

ففيه هذا المقطع الحجاجي إيهام بالتشابه بين مشروعية إخراج آدم من الجنة ومشروعية سفك دم ابن الزبير ،و لكشف هذه المغالطة ،وضّح محمد العمري عدم التطابق بين الوضعيتين : " خلق الله آدم + نعّم الله آدم بشرط ألا يأكل من الشجرة ،لم يف بالشرط (أكل من الشجرة) فأنزل به العقاب .

و المعطيات المقابلة في المشبه :

اختلف ابن الزبير مع الدولة الأموية دون منّ منها أو التزام منه . قتل ابن الزبير لهذا الاختلاف " [25]

و إجمالا ،يمكن القول أن القياس الخطابي هو أساس الخطاب الحجاجي ،لكن يجب على المتلفظ بالخطاب أن لا يوظفه قصد استدراج المتلقي وإيهامه بمشروعية القضية المطروحة .

-فساد التعليل

يوهم المغالط الناس أن مجرد الارتباط بين حدثين هو دليل على أن أحدهما سبب للآخر رغم أنّ هذا الترابط قد يكون مرده إلى :[26]

-المصادفة البحتة coincidence

-وجود سبب ثالث أعمّ من وراء كلا الحدثين ،و تسمى المغالطة حينئذ إغفال سبب مشترك ignoring a common cause أو المعلول المزدوج joint effect .

-كما أن الاتجاه الحقيقي للعلاقة السببية قد يكون معكوسا ،و تسمى المغالطة هنا : الاتجاه الخطأ

مثّل " محمد العمري " لمغالطة السبب الزائف بنماذج من مدونة البخلاء ،نذكر منها قول أبا عبد الرحمن : " أي بنيّ ! لمّ صار الضب أطول عمرا إلاّ لأنه إنما يعيش بالنسيم ! "[27]

فالبخيل في هذا القول أخفق في توجيه الحجة ،فبعد أن هيمنت عليه رغباته النفسية ،بنى هذا المسار الحجاجي على تعليل فاسد .

وظّف بخلاء الجاحظ قدراتهم الإقناعية في تعليل سلوكاتهم غير المألوفة ،و رغم مستواهم الحجاجيّ إلّا أنهم يقعون تحت سطوة الهوى " وهذا هو مصدر الالتباس بالنسبة لبعض القراء الذين ينظرون إلى سعة معرفة البخيل وتنوع مصادر احتجاجه ،و صواب أفكاره الجزئية في ذاتها ،أي مفصولة عن النسق العام،مأخوذة أخذا شكليا دون نظر إلى المحتوى " [28]

لم يقتصر اهتمام " محمد العمري " بالحجاج المغالط على النصوص التراثية فقط ،بل امتدّ ليشمل الخطابات المعاصرة ،و كان من ثمرات ذلك مجموعة من الدراسات منها : دائرة الحوار ومزالق العنف،و منطق رجال المخزن وأوهام الأصوليين ،و عوائق الحوار مع الأصوليين والحقيقة أن معظم مؤلفات العمري في هذا المجال ركزت على الخطاب السياسي، و حاولت البحث عن الحجج التي تشكله ،و سعت لكشف جوانب الاختلال وفضح المغالطات التي قد ترد في هذا النوع الخطابي .

سعى محمد العمري في تحليله إلى كشف تقنيات الحجاج المغالط التي يمكن أن يلجأ إليها المحاجج ؛ فذكر منها :

-**إيهام الشمول** : ففي المتن الخطابي الذي أنتج في المغرب حول «مشروع الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية» اعتبر العمري أن ايهام الناس أنّ جميع المغاربة ضد هذه الخطة مرفوض وعليه" لا مجال لمناظرة من لا يرى ما يُرى في الواقع ،و لا عبرة بما يقوله "[29]

-**ركوب الغموض** : وتأتي المغالطة في الغموض من وظائفه البلاغية ،فهو يوفر" فرصة للتراجع عن المصرّح به عند الضرورة . ولعلّ ما يسمى اليوم بلغة الخشب صيغة من ذلك المسلك البلاغي . " [30]

-**الإنزلاق** : وهي آلية يحاول فيها المحاجج المغالط أن ينتقل من قضية إلى أخرى وكأنها هي نفسها لتبرير أفكاره ومواقفه ،و لذلك اعتبرت هذه التقنية " آلية سفسطائية جوهرية تتناول كل مستويات الخطاب من اللفظ (صوتا ومعنى) إلى الكلام المركب " [31]

-**اللبس والتدليس** : ويدرج محمد العمري **هذا النوع ضمن البتر الكيدي** ،ومن صوره " إخراج عبارات مثيرة مسيئة للمتحدث عنه من سياقها التاريخي أولا ،ثم من سياقها النصي ثانيا "[32]

-**التهويل**: ومن مظاهرها في الخطاب تصيد الأخطاء الجزئية و" تصيد هفوات القلم واللسان ،أو حتى انزياحات الذاكرة ،أثناء الحوار حول القضايا الكبيرة والحساسة " [33] ويمكن أن يندرج ضمن هذا النوع من المغالطة " سبيل تجريح الغير المخالف واتهامه في علمه أو عمله ،و مواجهته بالتعنت والمكابرة بحيث يتم ردّ أقواله وأحكامه حتى وإن كانت صوابا وحقا " [34]

-**تهافت الاستنتاجات والأحكام** : ويكون ذلك باستعمال مسار خطابي تضليلي لإطلاق نتائج نهائية تدعم الدعوى المطروحة ،و لذلك اعتبر هذه الاستراتيجية الخطابية نوعا من الحجاج المغالط .

إنّ هذا النوع من التقنيات الحجاجية نجده بكثرة في الخطاب المغالط الذي لا تتجه فيه الغاية لإقناع المتلقي " وإنما تتجه نحو الإسكات ،و الإسكات هنا لا أعني به إفحام الخصم بانقطاع الحجة : بعدم وجودها أو عدم إسعاف اللغة بالنطق بها ،و لكنه إسكات التذعين الذي تدخل فيه مصادرة السيف (القوة)"[35]

و الملاحظ أنّ محمد العمري اعتبر أنّ الخطاب المغالط ينطوي على استخفاف بالمتلقين " ولذلك فإنّ أقوى الردود عليه ما واجه استخفافا باستخفاف ،أي ما بني على السخرية . فبدل رد فعل منفعل – قد يكون المغالط في انتظاره – يقوم الرد الساخر على إرخاء العنان ومد الحبل حتى تفتضح المغالطة أمام نفسها وتشمئز من مظهرها ومخبرها " [36]

إنّ السخرية تستثير الضحك لمواجهة المغالطة وكشف الزيف وتقويم الاعوجاج فالسخرية " لا تعني مجرد الاستهزاء والانتقاص من اللامرغوب فيه والمبتل . إنها بديل أخلاقي وإديولوجي للاأخلاقي الرديء ... وبقدر ما تفتح للبسمة طاقة ،تشرع طاقات البصر والبصيرة على الفجائعي والمريب والسلبي والاستلابي "[37]

بالإضافة إلى الآليات التضليلية السالفة الذكر،سعى العمري في تحليله للخطاب السياسي لكشف المغالطات التاريخية والمعرفية التي يمكن أن ترد في الخطابات التي " يكون ديدنها تحقيق منفعة آنية دونما مراعاة لتشويه التاريخ والعلم والقفز على حقائقهما ."[38]

و رغم سعي "العمري" الواضح لالتزام التحليل البلاغي الموضوعي في قراءة الخطاب السياسي المعاصر ،إلّا أنه يبدوا أحيانا وجود إلتباس بين التحليل الموضوعي والموقف السياسي الذاتي ،و هذا ما أشار إليه الباحث "محمد الموساوي "الذي يعدّ أن تحليلات " العمري " في بعض المواضع " رغم قدرتها على النفاذ إلى دهاليز الخطاب المنتقد إلّا أنها تظل دائما متهمة بالتحيز إلى طرف بعينه "[39]

خاتمة

توصلنا من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج نوجزها في ما يلي :

-يجب أن لا يكتف البلاغي بالتنظير فقط ،بل عليه أن يستثمر المفاهيم البلاغية لتحليل الخطاب .

- الحجاج المغالط نوع من المناورة والمراوغة يستهدف إقناع المتلقي بأية وسيلة كانت تحت مبرر الغاية تبرر الوسيلة

- يعتبر محمد العمري من أهم نقاد الخطاب المغالط ،و يمكن الوقوف على ذلك من خلال تحليله البلاغي لمختلف الخطابات التراثية والمعاصرة .

- استثمر محمد العمري المنجز الأرسطي في بلاغة الإقناع لتحليل الخطاب الإقناعي وكشف انزلاقات الخطاب التي يمكن أن يلجأ إليها بعض المحاجين .

- لا يزال البحث في الحجاج المغالط يثير اهتمام الدرس البلاغي المعاصر ،و ما كثرة تصنيف أبواب المغالطات الحجاجية إلا دليل قوي على هذا التوجه المنهجي .

- تأثر النقد المغربي المعاصر بنظريات النص ،و لم يقتصر التنظير على ترجمة المفاهيم فقط بل تعدى ذلك إلى تطبيق ذلك المنجز على النصوص ،و كانت المقاربة الحجاجية من أهم المقاربات التي وظفت لتحليل مختلف الخطابات التراثية والراهنة .

الهوامش

[1]- محمد النويري ،الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج ،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : إشراف حمادي صمود ، ص 406

[2]-حافظ إسماعيل علوي ومحمد أسيداه ،اللسانيات والحجاج : الحجاج المغالط ،نحو مقاربة لسانية وظيفية ،ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ،تنسيق : حافظ إسماعيل علوي ،عالم الكتب الحديث ،الأردن ،ج 3 ،2010 ،ص 272

[3]-ينظر: المرجع نفسه ،ص 273

[4]- عادل مصطفى ،المغالطات المنطقية ،المجلس الأعلى للثقافة ،ط1،2007 ،ص 18

[5]-محمد العمري ،المغالطة في فضاء الاحتمال ،مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية ،المجلد الثاني ،العدد الخامس ،أبريل 2017 ،ص 02-03

[6]- حسان الباهي ،المغالطات في الخطاب اليومي: مقاربة تداولية ، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة ،تنسيق حافظ إسماعيلي علوي ،عالم الكتب الحديث ،إربد ،الأردن ،ط2 2014 ،ص 380

[7]-محمد العمري ،دائرة الحوار ومزالق العنف ،أفريقيا الشرق ،2002،ص 30-31

[8]-يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة اليونانية ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،د ط ،ص 58

[9]- رشيد الراضي ،الحجاج والمغالطة : من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1 ،2010 ،ص 14

[10]- رشيد الراضي ،السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي ،مجلة عالم الفكر ،العدد 4 ،المجلد 36،أبريل يونيو 2008 ، ص 135

[11]-يوسف بن زحاف ،المغالطات الحجاجية وأهميتها التواصلية ، ،مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ،العدد 49 ،فبراير 2019 ،ص 54

[12]-ينظر رشيد الراضي ،الحجاج والمغالطة ،ص66-68

[13]- المرجع نفسه ،ص 69

[14]-رشيد الراضي ،السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي ،ص 147

[15]-يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ،ص 47-48

[16]-حاتم عبيد ،منزلة العواطف في نظريات الحجاج ،مجلة عالم الفكر ،المجلد 40 ،2011 ،ص 245

[17]-محمد العمري ،المغالطة في فضاء الاحتمال ،ص 03

[18]-محمد العمري ،البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ،أفريقيا الشرق ،2015 ،ص 131

[19]-الجاحظ ،البخلاء ،تح طه الحاجري ، دار المعارف ،ط 5 ،ص 110

[20]--عيد بلبع ،المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد ،،مجلة سياقات ،العدد الخامس 2017، ص 12-13

[21]- المرجع نفسه ،ص 14

[22]- أحمد زكي صفوت ،جمهرة خطب العرب ،ط1 ،1933 ، ج2 ،ص 276

[23]-الجاحظ ،البخلاء ،ص 42

[24]-أحمد زكي صفوت ،جمهرة خطب العرب ، ج2 ،ص 273-274

[25]-محمد العمري،في بلاغة الخطاب الإقناعي ،أفريقيا الشرق ،ط2 ،2002 ، ص 86-87

[26]-عادل مصطفى ،المغالطات المنطقية ،ص 136

[27]-الجاحظ ،البخلاء ،ص110

[28]-محمد العمري ،البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ،ص 120-121

[29]- محمد العمري ،دوائر الحوار ومزالق العنف ،ص81

[30]- المرجع نفسه ،ص 81

[31]- المرجع نفسه ،ص 99

[32]- المرجع نفسه ،ص 102

[33]- المرجع نفسه ،ص 108

[34]-حمو النقاري ،من منطق مدرسة بورويال في سوء النظر والتناظر ووجوه الغلط والتغليط فيهما ،ضمن المؤلف الجماعي : التحاجج تنسيق حمو النقاري ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،المغرب ،ط1 ،2006 ،ص 177

[35]- عيد بلبع ،المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد ،ص 13

[36]-محمد العمري ،المغالطة في فضاء الإحتمال ،ص 05

[37]-عبد النبي ذاكر ،بلاغة الحجاج في سخرية الرحالين العرب من بلاد العم سام ،ضمن المؤلف الجماعي ،الحجاج مفهومه ومجالاته ، تنسيق : حافظ إسماعيل علوي ،ج 4 ،ص 244

[38]- محمد الموساوي ،عن تحليل محمد العمري للخطاب السياسي ،ضمن المؤلف الجماعي البلاغة والخطاب ،تنسيق محمد مشبال ،منشورات الاختلاف ،ط1 ،2014 ،ص 308

[39]- المرجع نفسه ،ص 313

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد زكي صفوت ،1933 جمهرة خطب العرب ،ط1 ،، ج2

-الجاحظ ،البخلاء ،تح طه الحاجري ، دار المعارف ،مصر،ط 5

- حافظ إسماعيل علوي ومحمد أسيداه ،2010 ،اللسانيات والحجاج : الحجاج المغالط ،نحو مقاربة لسانية وظيفية ،ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ،تنسيق : حافظ إسماعيل علوي عالم الكتب الحديث ،الأردن ،ج 3

- حسان الباهي ،2014 ،المغالطات في الخطاب اليومي: مقاربة تداولية ، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة ،تنسيق حافظ إسماعيلي علوي ،عالم الكتب الحديث الأردن ط2

--حاتم عبيد ،2011 ،منزلة العواطف في نظريات الحجاج ،مجلة عالم الفكر ،المجلد 40 .

-حمو النقاري ،2006 من منطق مدرسة بورويال في سوء النظر والتناظر ووجوه الغلط والتغليط فيهما ،ضمن المؤلف الجماعي : التحاجج تنسيق حمو النقاري ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،المغرب ،ط1

-يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة اليونانية ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،مصر

-يوسف بن زحاف ،فبراير 22019 ،المغالطات الحجاجية وأهميتها التواصلية ، ،مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ،العدد 49

-محمد العمري ،أبريل 2017 ،المغالطة في فضاء الاحتمال ،مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية ،المجلد الثاني ،العدد الخامس

-محمد العمري ،2015 ،البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ،أفريقيا الشرق

-محمد العمري،2002 ،في بلاغة الخطاب الإقناعي ،أفريقيا الشرق ،المغرب ،ط2

-محمد العمري ،2002 ،دائرة الحوار ومزالق العنف ،أفريقيا الشرق ،المغرب

- محمد الموساوي ،2014 ،عن تحليل محمد العمري للخطاب السياسي ،ضمن كتاب البلاغة والخطاب تنسيق محمد مشبال ،منشورات الاختلاف ،ط1

- محمد النويري ،الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج ،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : إشراف حم|ادي صمود

- عادل مصطفى ،2007 ،المغالطات المنطقية ،المجلس الأعلى للثقافة ،ط1
-عيد بلبع ، 2017 ،المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد ،،مجلة سياقات ،العدد الخامس
-عبد النبي ذاكر ،بلاغة الحجاج في سخرية الرحالين العرب من بلاد العم سام ،ضمن المؤلف الجماعي ،الحجاج مفهومه ومجالاته ، تنسيق : حافظ إسماعيل علوي ،ج 4
- رشيد الراضي ،2010 ،الحجاج والمغالطة : من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1
- رشيد الراضي ،أبريل يونيو 2008 ،السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي ،مجلة عالم الفكر ،المجلد 36 ،العدد 4